اللغة غير اللفظية في التعليم النبوي

ــ دراسة تربوية تطبيقية على خطب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ

د: يزيد حمزاوي

أستاذ محاضر

جامعة البليدة

ملخص

يتناول المقال نتائج بحث تطبيقي عن خطب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان هدف البحث المذكور، دراسة استقرائية للغلة غير اللفظية في التعليم النبوي، سيشير المقال الحالي إلى كثير من مظاهر هذه اللغة التي كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستعملها في تعليم أصحابه أمور دينهم ودنياهم، لقد كشفت الدراسة لخطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان بارعا في استخدام اللغة غير اللفظية باستراتيجياتها كافة، حتى استطاع بشهادة العلماء والدارسين أن يؤثر التأثير الايجابي في المتعلمين، وستُقدم أمثلة من خطبه عن كل نوع من أنواع تلك اللغة المهمة، في حياة كل إنسان عموما والتربويين من معلمين وأساتذة خصوصا، كما سيُشار في النهاية إلى بعض الإجراءات العملية في التعليم الخطابي التي شرعها الإسلام، والتي جاءت لتؤكد وتخدم الأسلوب غير اللفظي في التعليم النبوي والديني.

I. تمهيد

اللغة غير اللفظية هي أحد أساليب الاتصال الإنساني، وهي في كثير من الأحيان تأخذ ـ إلى جانب الاتصال اللفظي ـ حيزا كبيرا من اتصالاتنا مع الآخرين ، وإذا كان المتصلون في أغلب الوقت يهتمون بإتقان لغتهم اللفظية التي ينطقون بها شفاهة، فإنهم في المقابل لا يكترثون بالقدر نفسه إلى لغتهم غير اللفظية، مما يجعل كثيرا من التواصل البشري غير ذي جدوى، من حيث أن اتصالاتنا غير اللفظية غير المدروسة وغير المتقنة تكون عقبة أمام التواصل الفعال ومن ثمة التفاهم المرغوب بين الجميع، بل قد يصل سوء استخدام اللغة غير اللفظية في حالات عديدة إلى تشويش على اللغة اللفظية نفسها.

يؤكد Durand (2003) على هذه الفكرة بقوله: في كثير من الأحيان تتبع الاتصالات غير الكلامية الاتصالات الكلامية لتعزيز ما يقال وتأكيده، ويحتل الاتصال غير اللفظي موقعا متميزا ومهما في عمليات الاتصال، يؤهله كي يتناسب طردا مع قوة جدول الأعمال الخفي، ومدى صعوبة التعبير عنه، لذلك فإن إساءة استخدامها أو عدم التحكم في تقنياتها، سيؤدي إلى إعاقة أكيدة للاتصال، وعلى سبيل المثال، فإن الإشارة تلعب دورا مهما، ولذا فقد أولى علماء الاتصال أهمية كبرى للتبادلات غير اللفظية التي تعتبر كثيرة ومتعددة إلى درجة يمكن اعتبارها كوسيلة مستقلة للاتصال، إذ يتحدث الناس من خلال حركات الجسم والأشياء، وهو ما أسماه Hall لغة الصمت.[198]

[198] Durand, J, Les formes de la communication, p 5.

وإن الأمر لا شك يزيد خطورة إذا كان هذا في ميدان التربية والتعليم، فالمعلم والمتعلم يتواجدون على الدوام في وضعيات اتصال غير لفظي، حيث تكون اللغة غير اللفظية هي أسلوب التعليم، وإن هذا الأخير هو أبعد ما يكون عن تحقيق أهدافه التربوية إذا ما كان الشركاء التربويون من معلمين ومتعلمين يجهلون أو لا يتقنون اللغة غير اللفظية، لذا يجب أن يعي المربي أنه محكوم ـ شاء أم أبى ـ بالقواعد الاتصالية، ومنها التمكن والتحكم في اللغة غير اللفظية، فلا يمكن تصور تربية بدون اتصال، فالتربية عملية اتصالية بامتياز، وبإسقاط العملية الاتصالية على العملية التربوية نجد تطابقا تاما بين عناصر éléments العمليتين.

يقول الطنوبي: تُعتبر التربية عملية اتصال، إذ أنها تتضمن إكساب الفرد مجموعة من الخبرات والمعارف والاتجاهات التي تساعده على التكيف مع البيئة الاجتماعية، إذ إن هذه العملية تتوفر فيها عناصر عملية الاتصال، فالمرسل في التربية هو الشخص المربي: الأب، الأم، المعلم...، وهو الذي لديه الخبرة والمعرفة والاتجاهات التي يريد نقلها إلى الطفل وتوصيلها له، لكي تتسع معارفه وتتكون لديه اتجاهات معينة، ويصبح الطفل هو المستقبل الذي يقع عليه تأثير المربي لكسب هذه الخبرات، وفي هذه العملية يقوم المرسل بتحويل هذه المعلومات أو الأفكار إلى رموز معينة، سواء كانت في صورة كلمات منطوقة أو مكتوبة، أو في صورة إشارات وحركات معينة...ولكي يستطيع الطفل فهم الرموز ينبغي أن يكون لديه خبرة ودراية بمضمون هذه الرموز ومحتواها.[199]

وبحكم التطابق في الشكل la forme بين العمليتين التربوية والاتصالية، فإننا نستنتج أن الفشل على مستوى الشكل يؤدي لا محال إلى الفشل في المحتوى le contenu، وبمعنى أدق الفشل في تأثير المحتوى في المتلقين من الأطفال والمتعلمين، وإن أي خلل يصيب الوضعية الاتصالية يوازيه خلل مقابل في الوضعية التربوية .[200]

II. اللغة غير اللفظية

يقصد باللغة غير اللفظية Langage non verbal كل من: إشارات الرأس والأيدي والأصابع والأقدام وحركة الجسم والوقفة وتعبيرات الوجه والإيماءات، التي يحدثها أو يرسلها الخطيب أثناء خطبته، وقد حظي هذا النوع من اللغة بدراسات مكثفة عند علماء الاتصال غير اللفظي Méta linguistes، ومنهم كذلك المتخصصون في علم النفس الاجتماعي البداغوجي، وعلماء التربية الذين بحثوا في الاتصال التربوي، الذي يحدث بين المعلم والمتعلمين أو المتعلمين فيما بينهم، داخل غرفة الصف.[201]

وتتم كذلك عن طريق تعابير الوجه ولغة العيون وحركات جسم الفرد، والتوكيدات الصوتية والإشارات وبعض إشارات الرأس والحملقة أو تحويل النظر، وكذلك إرسال إشارات التغذية العكسية من قبل المستمعين، كما يظهر عليهم من تعبيرات بالفم وحاجب العين، حيث يظهرون عما إذا كانوا يوافقون أو يفهمون أو يندهشون، كما تتضمن نغمة الحديث الحادة أو الهادئة أو العالية أو المنخفضة،

---

[199] الطنوبي، محمد عمر، نظريات الاتصال، 190

[200] حمزاوي، يزيد، مقاربة اتصالية لبعض جوانب العملية التربوية، ص 161 – 162

[201] الفرجاني، عبد العظيم، تقنيات الاتصال التعليمي من القرآن والسنة، ص 88

وهذه التصرفات الجسمية المختلفة تعطي دلالات مختلفة عن الرضا وعدم الرضا وعدم الموافقة واللامبالاة.[202]

عرف Ekman وFriesen (1972) لغة الإشارات بأنها منبهات جسمية تترجم الألفاظ، أو هي الترجمة الحركية للتلفظ المنطوق، بغرض تعزيز المعاني اللفظية أو كبديل لها، وأكدا أن الإشارات تقدم للمتلقي معاني محكمة وترجمة صادقة لما يريد المرسل أن يعبر عنه، غير أنها تختلف من ثقافة إلى أخرى، ولذلك فإن مكونات لغة الإشارات في حقيقتها ناتجة من معطيات الثقافة، هذا ويحصر Nabire (1980) الإشارات الصادرة عن الفرد في أي سياق لفظي في نوعين فقط هما: تعبيرات الوجه وحركات الجسم، غير أن الوظائف التي تؤديها الإشارات كثيرة وتظهر فيما يلي:

أ. تستخدم كمتمم للحديث العادي.
ب. تستخدم كبديل للغة الأجنبية.
ت. تستخدم كبديل للحديث العادي.
ث. تستخدم كبديل عن سماع الحديث العادي.
ج. تستخدم كمتمم للأنشطة الخاصة مثل التمثيل والخطابة، لتحل محل بعض الكلمات المنطوقة.[203]

أما Patersen (1982) فقد كان أكثر وضوحا في تحديد الوظائف الاتصالية التي تقدمها المنبهات غير اللفظية وهي:

أ. تُحسن المعلومات.
ب. تُعمق التفاعل وتقويه.
ت. تُحدد المعاني الغامضة.
ث. تُعبر عن العواطف.
ج. تُؤثر فيما بعد الاتصال.
ح. تُدرب على التفاعل الاجتماعي.
خ. تُيسر تحقيق الأهداف.
د. تُقوي عملية التذكر.

ويرى Nabire (1980) أيضا ـ بالإضافة إلى الوظائف الخمس السابقة ـ أن الإشارات تعزز أثر الحديث، ويعتقد أن الحديث الخالي من الإشارات حديث عقيم وممل، لأنه يفتقد إلى الامتداد الواسع للغة الإشارات والإيماءات، التي يمكن أن تضيفها الأيدي والوجه.[204]

وفي دراسة أجراها Albert Mehrabian، وهو من أوائل الباحثين في مجال التواصل غير اللفظي، استهدفت الدراسة المذكورة تحديد النسبة التي يمثلها كل من المضمون اللفظي ونبرة الصوت والاتصال غير اللفظي ـ الإشارات والإيماءات وتعابير الوجه ـ أي الناحية المرئية في عملية فهم مواقف التواصل البشرية، وكانت الصيغة التي توصل إليها هي أن نسبة 7% من مفاتيح تفسير

---

[202] العيسوي، عبد الرحمان، الكفاءة الإدارية، 63

[203] الفرجاني، عبد العظيم، تقنيات الاتصال التعليمي من القرآن والسنة، ص 89

[204] نفس المرجع، ص 90-91

المواقف تأتي من المضمون اللفظي، ونسبة 38% تأتي من نبرة الصوت، ونسبة 55% تأتي من الوجه وتعابيره والإشارات بشكل عام.[205]

فأثناء إلقاء الخطبة تنطلق رسائل غير شفهية من وجه الخطيب وجسمه ووقفته وإيماءاته ونبرة صوته، فإذا كانت تلك الرسائل متسقة مع الفكرة التي تنقلها الألفاظ، أي مع مضمون الخطبة، الذي يراد تعليمه للحاضرين فإن الخطبة تصبح أكثر تأثيرا، وينبغي الإشارة، هنا، أن كثيرا من الخطباء لا يلقون بالا للاتصالات غير اللفظية في التربية بالخطابة، مما يجعلهم يطلقونها بطريقة غير إرادية، مما يعني أن تكون في أحيان كثيرة غير متناسقة مع المضمون اللفظي، مما يؤدي إلى عدم وصول المعنى التربوي المرجو إلى الحاضرين، فالخطيب المثالي هو من ينتبه لرسائله اللفظية وغير اللفظية، من حيث العمل على توحيدها من أجل إبلاغ معنى تربوي واحد لا لبس فيه، بدل تقويض المعاني اللفظية بالمعاني غير اللفظية أو العكس، من حيث لا يشعر المربي الخطيب.

يقول Morgan (2003): يجب استخدام الجسم لتعزيز الفكرة التي تود إيضاحها، وليس لتشتيت الأذهان عن تلك الفكرة، كما يفعل معظم الخطباء... فهناك درجة عالية من التشويش يسببها الخطباء الذين تكون أساليب تواصلهم الشفهية وغير الشفهية غير منسقة.[206]

وإن الحركة هي أكثر نواحي التواصل غير الكلامية إهمالا في الخطابة، وأقلها استخداما بفاعلية، ويجب اعتبار الجسم علامة ترقيم كبيرة، فكل حركة منه تحمل معنى.. والصوت والوجه والإيماءة والوقفة جميعها رسائل لتفهيم الأفكار للجمهور.[207]

III. نتائج الدراسة

تبين من الدراسة التحليلية لخطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه استخدم هذه الإستراتيجية بشكل فعال ومتكرر، ويبدو ذلك من استجابة الصحابة لذلك، فلم يكن يُهمل الاتصال غير اللفظي، ولأهمية ذلك وتأثيره، فقد نقل لنا الصحابة كل حركة أو إشارة أو تعبير من تعابير الوجه للمعلم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يخطب.

من خلال استقراء الخطب الصحيحة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمكننا استخلاص جملة من أنواع اللغة غير اللفظية في التعليم النبوي هي: تعبيرات الوجه، حركة الجسد، وفيها إشارات الجسم والتربية العملية بنوعيها (البيان العملي والبيان التوضيحي)، ثم تفاعل الخطيب مع موضوع الخطبة، الذي يجمع بين تعبير الوجه وحركة الجسد، وأخيرا السكوت قبل المعلومة المهمة.

1. تعبيرات الوجه

بينت الدراسة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت تظهر على وجهه تعابير واضحة أثناء خطابته، تحمل دلالات اتصالية ولغوية تخدم الهدف التعليمي، كالغضب والسرور والحزن ..الخ، وهذه أمثلة من ذلك.

روى أحمد عن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطبنا فيذكرنا بأيام الله، حتى نعرف ذلك في وجهه، وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا، حتى ترتفع عنه.

---

[205] مورجان، نيك، قواعد التأثير في المستمعين، ص 174

[206] نفس المرجع، ص 18- 20

[207] نفس المرجع، ص 186

وروى أحمد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث سرية فأغارت على قوم، فشذ من القوم رجل، فتبعه رجل من السرية شاهرا سيفه، فقال الشاذ من القوم: إني مسلم، فلم ينظر فيما قال، فضربه فقتله، فنمى الحديث إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال فيه قولا شديدا، فبلغ القاتل.

قال: فبينما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطب قال القاتل: يا رسول الله، والله ما قال الذي قال إلا تعوذا من القتل، قال: فأعرض عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعمن قبله من الناس، وأخذ في خطبته، ثم قال أيضا: يا رسول الله ما قال الذي قال إلا تعوذا من القتل، فأعرض عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعمن قبله من الناس، وأخذ في خطبته، ثم لم يصبر وقال الثالثة.. فأقبل ـ صلى الله عليه وسلم ـ تُعرف المساءة في وجهه قال: إن الله أبى على من قتل مؤمنا ثلاث مرات.

وروى أحمد عن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: أعقلوا واعلموا أن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيّون والشهداء لمكانهم وقربهم من الله.

فقام أعرابي فقال: يا رسول الله من هم؟ جلّهم لنا.

فسُرّ وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقول الأعرابي، فقال: هم قومٌ لم تصل منهم أرحام متقاربة من أفناء الناس ونوازع القبائل، تحابوا في جلال الله عز وجل، وتصافوا فيه، وتزاوروا فيه، وتباذلوا فيه، يضع الله لهم منابر من نور فيجلسون عليها، وإن ثيابهم لنور، وجوههم نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يفزعون إذا فزع الناس، أولئك أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

2. حركة الجسد

تبين للباحث أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استخدم حركة الجسد بكثرة في خطبه وذلك لتعزيز المعاني اللفظية، وإمعانا في البيان والتوضيح للمتعلمين، وقد تنوعت تلك الحركة من إشارة بسيطة بالأصابع واليد لتصل إلى أسلوب أكثر تعقيدا في التعليم، مثل البيان العملي لبعض العبادات، والبيان التوضيحي في لبعض الأحكام، وهذه أمثلة على ذلك.

أ. إشارات الجسم

من الأمثلة على إشارات الجسم، خاصة اليد:

روى مسلم عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: بُعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، كل بدعة ضلالة، ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالا فلأهله، ومن ترك دينا أو ضياعا فإليَّ وعليَّ.

وروى أبو داود وأحمد عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شاهرا يديه قط يدعو على منبره، ولا على غيره، ولكن رأيته يقول هكذا، وأشار بالسبابة، وعقد الوسطى والإبهام.

وروى مسلم وابن ماجة عن عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على المنبر يقول: يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده، وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها، ثم يقول: أنا الجبار أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

وروى البخاري وأحمد عن أنس ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى لنا يوما الصلاة، ثم رقي المنبر وأشار بيده قبل قبلة المسجد فقال: قد أُريت الآن الجنة والنار ممثلتين في قُبل هذا الجدار، فلم أر كاليوم في الخير والشر، فلم أر كاليوم في الخير والشر، فلم أر كاليوم في الخير والشر.

وروى الشيخان وأحمد والترمذي عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول وهو على المنبر: ألا إن الفتنة ها هنا، يشير بيده إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان.

ب. أسلوب التربية العملية

اعتمد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التربية بالخطابة على أسلوب التربية العملية، وذلك بطريقتي البيان العملي، والبيان التوضيحي، ويعتمدان بشكل أساسي على لغة الجسد.

• البيان العملي

يظهر البيان العملي أو العرض التوضيحي Démonstrationعندما يقوم المعلم بأداء مهارة معينة أمام المتعلم..، أي أن المدرس يقوم بأداء عمل أمام التلاميذ ليُبين لهم تفاصيل هذا العمل والعلاقات التي يتكون منها، وذلك لكي يتقيدوا به وينفذوا المهارة بالشكل الصحيح.

ومن فوائد البيان العملي أنه ييسر على الدارس أداء المهارة العملية، ويقلل من عدد المحاولات الخاطئة للتلميذ، ويرفع من مستوى كفاءة الأداء، ويُيسر البيان العملي للتلميذ المشاركة في الأداء مع المعلم، فيثبت لديه التعلم وينقل معه أثر التدريب، وفي نفس الوقت يقف المدرس على مستويات تلاميذه ويقترب من مشكلاتهم الأدائية ليسهل عليه علاجها.

ومن هنا يمكن القول بأن البيان العملي تجربة علمية، يشترط فيها التركيز على الخطوات الإجرائية لأداء المهارة العملية، والتركيز أيضا على صحة الحركة أثناء الأداء، والجدير بالذكر أن البيان العملي كوسيلة تعليمية بصرية، يستخدم كثيرا في مواقف الاتصال التعليمي، وخاصة المواقف التي تحتاج من التلميذ إلى دقة الملاحظة، والمواقف التي يحتاج المعلم أن يقدم للتلميذ فيها مشاهد حقيقية تزيده يقينا وتعلما، ولذلك فإن البيان العملي في أبسط صورة أداء مهارة، ويمتد حتى يصل لدرجة التجربة الكاملة.[208]

ومن الآثار التربوية للتعلم بالعمل والممارسة والبيان: الإتقان العملي، وهو خير مقياس للتعلم، سواء في ذلك الاستحفاظ أو أداء العبادات، لذلك كان من نتائج هذا الأسلوب تعود الدقة وتوخي صحة النتائج، فكل معلم يمارس العمل ثم يتابعه المتعلم، وكل متعلم يمارس العمل أمام معلمه.[209]

ومن الأمثلة على أسلوب التربية بالبيان العملي:

مثال أول: النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم صحابته أركان الصلاة وكيفية أدائها وهو على المنبر، وذلك بأدائها بنفسه من التكبيرة إلى التسليم، وقد بين إثر تلك الصلاة أنه فعل ذلك تعليما لهم.

روى مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المنبر فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر، ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي.

---

[208] الفرجاني، عبد العظيم، تقنيات الاتصال التعليمي من القرآن والسنة، ص 83 – 84

[209] النحلاوي، عبد الرحمان، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 269 – 270

مثال ثان: النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم صحابته سجدة التلاوة أثناء الخطبة، بحيث سجد أمامهم ليشاهدوه ويتعلم هيئتها (عند تلاوة أية من القرآن التي يسن السجود عند تلاوتها) على المنبر، مع توضيح لهم في مرة ثانية بأنها مجرد سنة وليست واجبا.

روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وهو على المنبر (سورة ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد، وسجد الناس معه، فلما كان يوم آخر قرأها، فلما بلغ السجدة تَشَزَّنَ الناس للسجود ـ أي استعدوا ـ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إنما هي توبة نبي، ولكني رأيتكم تَشَزَّنتم للسجود، فنزل فسجد فسجدوا.

مثال ثالث: النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم أصحابه عمليا شعيرة من شعائر الحج، وهي رم الجمرات أو الخذف، وقد أشار في الخطبة أنه فعل ذلك تعليما للمناسك.

روى أبو داود والنسائي وأحمد عن عبد الرحمان بن معاذ التيمي ـ رضي الله عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن بمنى، ففتحت أسماعنا، حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا، فطفق يعلمهم مناسكهم، حتى بلغ الجمار فوضع أصبعيه السبابتين، ثم قال بحصى فخذف.

- **البيان التوضيحي**

كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تعليم الصحابة يلجأ إلى إحضار وإبراز بعض الأشياء المحسوسة على المنبر مشيرا إليها، ليجلب انتباه المتعلمين ليشاهدوها، ثم يقدم توجيهه التربوي بشأنها، زيادة في التوضيح والبيان، ولا شك أن هذا التوجيه الذي اقترن بعملية التوضيح الحسي، سيكون راسخا في ذهن كل من شاهدها وأدركها، كما يصعب نسيان مثل هذا الموقف التعليمي، وهذا أشبه بالوسائل التربوية الحديثة التي يحضرها المدرسون إلى الفصل ليراها الطلاب عيانا، مثل بعض النباتات أو الأحجار أو غيرها في دروس العلوم الطبيعية...

ومن أمثلة هذا الأسلوب البياني التوضيحي.

مثال أول: يجلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ معه مادتين ملموستين محسوستين في إحدى خطبه، وهما الحرير والذهب، ويشير إليهما رافعا يديه ليطلع كل من حضر، وعند انتباه الناس يعلمهم أنهما محرمان على ذكور المسلمين وحلال على إناثهم، فصار حكمهما بعد ذلك في غاية البيان والوضوح.

روى أبو داود والنسائي وابن ماجة عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال، أخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على المنبر حريرا بشماله وذهبا بيمينه، ثم رفع بهما يديه فقال: إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم.

مثال ثان: يريد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعلم أتباعه حرمة لبس خاتم الذهب على الرجال من أمته، فصعد المنبر وأشار إلى خاتمه، وأخبر الحاضرين بأن لبس الذهب كان حلالا، والآن بعد ما حُرم فإنه ينزعه أمام أعينهم ويلقيه بعيدا عنه، ففعل المتعلمون ما فعل، وتحقق الهدف التربوي، ويشير البيان التوضيحي هنا، إلى ضرورة نبذ لبس الحرير للرجل وسرعة التخلص منه، فامتثل الجميع للفعل.

روى الشيخان والترمذي وأحمد عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اصطنع خاتما من ذهب، وجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه، فاصطنع الناس خواتيم من ذهب، فرقي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المنبر فحمد الله وأثنى عليه، فقال: إني كنت اصطنعته وإني لا ألبسه، فنبذه فنبذ الناس خواتمهم.

3. تفاعل الخطيب مع موضوع الخطبة

لا يخفى أن الخطبة قد تشتمل على فنون شتى متغايرة من أنواع الكلام، فقد تشتمل على الترغيب والترهيب، وعلى التحذير والتبشير، وقد تشتمل على ما يقتضي الحزن أو الفرح، أو الغضب أو الخوف، والخطيب الموفق يعطي كل مقام حقه من الانفعال والتغيّر.

إن صوت المعلم النمطي المطرد على وتيرة واحدة، عند الاستفهام والتعجب والإنكار والإخبار والأمر وغير ذلك...، كما يستوي عنده أيضًا مقام الغضب ومقام الرضا، ومقام الفرح ومقام الحزن، سببه عدم التفاعل مع الموضوع الذي يدرسه، ومن آثاره على المتعلم أنه يصعب بسببه فهم كلامه، ويبعث على الملل في نفوس السامعين ويقذف فيهم النعاس، وتشرد أذهانهم لأنه ليس في طريقة الإلقاء ما يشدهم ويلفت انتباههم.

فمن الضروري للمعلم الفعال إظهار الحماسة للموضوع الذي يعلمه من جهة، ومن جهة ثانية المعلم الفعال هو الذي يظهر حماسه نحو مهنة التعليم ونحو تلاميذه، وإن التفاعل الايجابي مع موضوع الخطبة هو من دلائل هذا الحماس.

وقد أكد الباحثون على مفهوم إبداء الحماسة Exibing Enthusiasm، فقد بينت نتائج دراسات Good and Prophy (2000) أن الحماسة تعبير عن الإثارة والحدة والقوة، وأن المعلم المتحمس والنابض بالحياة والنشاط والحيوية، هو معلم أكثر إمتاعا للمشاهدة من المعلم غير المتحمس، وإن لحماسة المعلم علاقة بتحصيل الطلبة المرتفع، وللحماسة بعدان هامان: الاهتمام والاندماج بالمادة الدراسية والنشاط والديناميكية البدنية، فالمعلمون المتحمسون يوصفون دوما على أنهم معلمون محفزون وديناميكيون ونشطون وتعبيريون، ويشير سلوكهم إلى أنهم ملتزمون اتجاه الطلبة واتجاه اختصاصهم، وفي حين أن المعلمين يتوقعون من الطلبة الاهتمام بما يقولونه، فإن الطلبة يهتمون بالحماسة التي ترافق ما يقولونه... كما يمكن التعبير عن الحماسة بالعديد من الطرق، والتي منها استخدام الإيماءات الحية المفعمة بالحيوية والنشاط، والتواصل البصري والتأثير الصوتي والتحرك، فالمعلم المتحمس في قاعة الصف يخلق دائما طلابا متحمسين.[210]

وكشفت دراسة الخطب النبوية كفاءته وقدرته على استخدام إستراتيجيته في التفاعل مع موضوع الخطبة بحرارة وحيوية، كأحد أساليب اللغة غير اللفظية، فقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبدو في خطبه كأنه يعيش بروحه وعقله ووجدانه وجوارحه كل كلمة ينطق بها، فلم يكن يفقد تلك الحرارة، التي يفقدها كثير من المعلمين الذين لا يظهرون الحماس والعاطفة الجياشة، دفاعا عن أرائهم التربوية أو الأفكار أو النظريات التي يلقنونها لتلاميذهم، مما يجعلها قليلة الفاعلية والتأثير فيهم، فهي أشبه ما تكون بكلمات ميتة وأفكار مجردة لا روح فيها، كما يشعر التلاميذ بأن معلميهم مع أنهم يزودونهم بمعلومات أو أراء أو أفكار، لكنهم أبعد ما يكونون عن تبنيها أو العمل بها أو معايشتها، لذا لا نستغرب عدم تمثل الكثيرين للآداب والأخلاق والأفكار الايجابية، لأنهم تعلموها بالطريقة الباردة السلبية، من معلمين أكثر برودة وسلبية.

كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبكي ويغضب ويتحرك وينفعل مع كل معنى من معاني خطبته، وهذه بعض النماذج من تفاعله الخطابي غير اللفظي:

---

[210] بردن، بول، الإدارة الصفية، ص 287

روى مسلم وأحمد عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) الزمر: 67، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول هكذا بيده: يحركها يُقبل ويُدبر، يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله المنبر، حتى قلنا ليخرن به، أساقط هو برسول الله ؟.

قال عبد الله ناصح علوان، في صدد بحثه هذه الظاهرة الخطابية، التي وردت في هذا الحديث: ولا يتصف الواعظ الداعية بهذه الهيمنة والتأثير إلا أن يكون مخلص النية، رقيق القلب، خاشع النفس، طاهر السريرة، مشرق الروح... وإلا فالمسؤولية كبيرة عند رب العالمين، وفرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه وهو متصنع بالكلام ليسبي به قلوب الرجال، وبين داعية مؤمن مخلص مكلوم القلب على الإسلام، يتكلم بنبضات قلبه ولواعج حزنه وأساه، لما آل إليه حال المسلمين، فلا شك أن تأثير الثاني أبلغ والاستجابة إليه أقوى والاتعاظ بكلامه أعظم.[211]

وروى أحمد وابن ماجة عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أنه خطب على المنبر فقال: قام فينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقامي هذا عام الأول فخنقته العبرة ـ الدمعة ـ ثلاث مرات، ثم قال: أيها الناس سلوا الله المعافاة، فإنه لم يُؤت أحد مثل يقين بعد معافاة، ولا أشد من ريبة بعد كفر، وعليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور، وهما في النار، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا.

وروي أنس ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: خطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذها جعفر فأُصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأُصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة، ففُتح له وقال: ما يسرهم لو أنهم عندنا، وعيناه تذرفان.

4. السكوت قبل المعلومة المهمة

إن الأفكار الرئيسية والجمل الهامة، ينبغي أن يلاحظ في إلقائها التؤدة وعدم الاستعجال, واستخدام سكتات خفيفة نسبيا بين المعلومة وأخرى، وكذلك السكوت الأطول قبل إلقاء المعلومة المهمة يُعد تمكيناً لاستيعاب السامع لها، وتعزيزاً لأثرها في النفوس، والسكوت كأحد أنواع اللغة غير اللفظية هو من أكثرها إهمالا من طرف المتصلين ومنهم المربون.

فللسكوت أثناء شرح المعلم فوائد يحسن بنا الوقوف عندها قليلاً، فمنها أنها تجذب انتباه الطلاب، فكون المعلم يتكلم في موضوع معين ثم يسكت فجأة، هو وبلا شك يستلزم انتباهاً من المستمع، ومنها أنها تسمح باسترداد نفس المعلم وأخذ قسط قليل من الراحة، ومنها أنها تعطي المعلم فرصة لترتيب أفكاره، وهي عملية ذهنية لا تستغرق سوى ثوان معدودة.

وقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلجأ إلى هذا النوع من الفعل التربوي المعتمد على اللغة غير الملفوظة، وأشهر مثال في خطبه، ما ورد في الخطبة التالية:

روى مسلم عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خطبنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم النحر فقال: أتدرون أي يوم هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

قال: أليس يوم النحر؟

---

[211] علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ص 1 / 715

قلنا: بلى.
قال: أي شهر هذا؟
قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.
فقال: أليس ذو الحجة؟
قلنا: بلى.
قال: أي بلد هذا؟
قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.
قال: أليست بالبلدة الحرام؟
قلنا: بلى.
قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، إلى يوم تلقون ربكم...

لقد أثبت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال تحكمه في الصمت والكلام، أنه يملك إحدى أهم تقنيات الاتصال البداغوجي، فلم يكن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصمت بعشوائية، وإنما يصمت أو يسكت السكتة الخفيفة أو الطويلة لغرض تربوي، ولقد تبين من خلال المثال السابق في خطبته بعرفة، كيف كان السكوت تحفيزا وشدا للانتباه وإعدادا للمتعلم لتلقي المعلومة المهمة التي ستلقى مباشرة بعد تلك السكتة.

والخطيب الناجح يعرف أين يتوقف أثناء خطبته، فإذا مر بفكرة عظيمة يرغب في ترسيخها في أذهان مستمعيه توجه إليهم، وأحدق بعيونهم مباشرة للحظة، من دون أن يقول شيئاً، هذا الصمت المفاجئ له نتيجة الضجة المفاجئة، وهو يجذب الانتباه ويجعل كل إنسان منتبهاً ومتحفزاً لما سيتلو ذلك الصمت، وكذا يقال في التوقف بعد كل جملة يراد توكيدها، فهو يضيف إلى قوتها قوة أخرى من خلال الصمت، وذلك أن المعنى يتأكد في هذه الأثناء في النفس ويؤدي رسالته، لكن يجب أن يكون التوقف بشكل طبيعي، ومن دون تكلف، وقد قيل: من خلال صمتك تتكلم.

IV. الإجراءات المساعدة على اللغة غير اللفظية

إذا كانت اللغة اللفظية تعتمد على حاسة السمع بشكل رئيس، فإن اللغة غير اللفظية تعتمد بالدرجة الأولى على حاسة النظر، لذا فإن الإسلام شرع جملة من الإجراءات الفعلية التي تسهل الإدراك البصري للرسائل غير اللفظية في الخطابة، ولولا هذه الإجراءات لما كان لاستعمال اللغة غير لفظية أي فائدة، إذ أنها تصبح مجرد إشارات وحركات لا يراها المستهدفون بالخطاب، ومن هذه الإجراءات التي تنقل الرسالة غير اللفظية وتجعلها جلية واضحة أمام المتعلمين في أثناء الخطبة: الخطابة على شيء مرتفع، الخطابة قياما، الاتصال الوجاهي بين المعلم والمتعلمين باتجاهيه (استقبال الخطيب للحاضرين واستقبال الحاضرين للخطيب).

1. الخطابة على شيء مرتفع

كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطب على شيء مرتفع أو مشرف، خصوصا المنبر، والمنبر مأخوذ من النبر وهو الارتفاع.

جاء في القاموس المحيط: نبر الحرف ينبره همزه، ونبر الشيء رفعه، ومنه المنبر، بكسر الميم.[212]

[212] الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، ص 2 / 142

وجاء في لسان العرب: النبر بالكلام الهمز: قال وكل شيء رفع شيئا فقد نبره، وكل شيء ارتفع من شيء نبره لانتباره... وكل ما رفعته فقد نبرته تنبره نبرا، وانتبر الجرح ارتفع وورم... والمنبر مرقاة الخطيب، سُمي منبرا لارتفاعه وعلوه، وانتبر الأمير ارتفع فوق المنبر.[213]

وجعل العلماء، من القدماء، الخطبة على المنبر أفضل لأنها أكثر بلاغاً، قال أبو بكر بن العربي: والعلو على درج أو عود للخطبة أفضل لأنه أسمع، وقال ابن خزيمة: والعلة التي لها أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ باتخاذ المنبر إذ هو أحرى أن يُسمع الناس خطبة الإمام، عندما يكثرون، إذا خطب على المنبر. [214]

ويؤكد ذلك ابن عثيمين، من المعاصرين، فيقول: الخطبة على المنبر سنة اقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولأن ذلك أبلغ في إيصال الخطبة إلى الناس، لأنه إذا كان مرتفعاً سمعه الناس أكثر، وكذلك إذا كان مرتفعاً رآه الناس بأعينهم، ولا شك أن تأثر السامع إذا رأى المتكلم أكثر من تأثره وهو لا يراه، وهذا أمر مشاهد، ولهذا كان من هدي الصحابة، على ما ذُكر، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا خطب استقبلوه بوجوههم، ليكون ذلك أبلغ في حضور القلب والانتفاع بالخطبة.[215]

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم أهمية مواجهة الخطيب لمخاطبيه، وما ينتج عن ذلك من انجذاب إليه، فقد كان أول أمره يخطب الناس من على نخلة حتى ارتأى الصحابة صنع منبر ذي ثلاث درج، فرقيه وخطب الناس منه، لقد كان إلقاء الخطبة في هذا العهد يتميز عن إلقاء الدرس، بكون الخطبة مؤداة في حالة قيام، مما يجعل المستمع متحفزا للاستماع.[216]

بينت الدراسة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخطب على شيء مرتفع، إما على جبل عال أو ربوة أو درج أو منبر أو على دابة، وهذه بعض الإثباتات من الخطب النبوية:

روى مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت آية (وانذر عشيرتك الأقربين) الشعراء: 214، خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى صعد الصفا وهتف: واصباحاه، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قيل: محمد، فاجتمعوا إليه فقال: يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، فاجتمعوا إليه فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيَّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد...

وروى أحمد وأبو داود والنسائي عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة، فحمد الله وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن قتيل السوط والعصا فيه مائة من الإبل، منها أربعون خلفة في بطونها أولادها، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم تحت قدمي هاتين، إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا إني أمضيتها لأهلهما كما كانا...

وروى أحمد والنسائي وابن ماجة عن أبي كاهل ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطب الناس يوم عيد على ناقة خرماء، وحبشي ممسك بخطامها.

وروى أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجة عن عمر بن خارجة ـ رضي الله عنه ـ قال: خطب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو على ناقته، وأنا تحت جرانها ولعابها يسيل بين كتفي..

---

[213] ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ص 5 / 189

[214] حمادة، فاروق، أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية، ص 74

[215] ابن عثيمين، صالح، الشرح الممتع، ص 2 / 318– 319

[216] أفزاز، أحمد، خطبة الجمعة: واقع وآفاق، ص 173

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: كان جذع يقوم إليه النبي، فلما وضع له المنبر، سمعنا للجذع مثل أصوات العشار ـ الناقة التي بلغت عشرة أشهر ـ حتى نزل النبي فوضع يده عليه.

وروى الشيخان والنسائي وأبو داود أن رجالا أتوا سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ وقد امتروا في المنبر مم عوده؟ فسألوه عن ذلك، فقال: والله إني لأعرف مما هو، ولقد رأيته أول يوم وضع، وأول يوم جلس عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسل رسول الله إلى فلانة ـ امرأة قد سماها سهل ـ مُري غلامك النجار أن يعمل لي أعوادا، أجلس عليهن إذا كلمت الناس، فأمرته، فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمر بها فوضعت هاهنا...

وروى أحمد والدارمي عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي إلى جذع إذ كان المسجد عريضا، فكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال له رجل من أصحابه: يا رسول الله هل أعمل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس وتسمعهم خطبتك؟ قال: نعم.

2. الخطابة قياما

كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطب قياما وليس جلوسا، وذلك أبلغ في التعليم ليشاهده الحاضرون ويسمعوه ويروه، بالخصوص لما كثر عددهم، فمع هذا العدد الكبير من المصلين لا ينفع الجلوس للتعليم، كما أن الوقوف يوحي بالجدية أكثر من الجلوس، ويُظهر أكثر تحكم المعلم في زمام الصف والدرس.

وهذه بعض الأدلة على هذا المسلك التربوي:

روى الشيخان والنسائي وأبو داود عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطب قائما، ثم يقعد، ثم يقوم، كما تفعلون الآن.

وروى مسلم والنسائي وأبو داود عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطب قائما، ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائما، فمن نبأك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب، فقد صليتُ معه أكثر من ألفي صلاة.

وروى الشيخان والنسائي وأبو داود عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطب خطبتين وهو قائم، يفصل بينهما بجلوس.

3.الاتصال الوجاهي بين المعلم والمتعلمين

إن الاتصال الوجاهي Face to Face ينمي أقوى تفاعل إنساني، ولا يوجد أي نوع آخر من الاتصال يمكن أن يُعوض العاطفة والأحاسيس والحميمية، المنبعثة في الاتصال الوجاهي، لشخصين متواجدين في نفس المكان، لقد كشفت الدراسات الاتصالية أن أفضل الاتصالات هي التي تحدث لما يكون المتحدث والمستمع في نفس القاعة.[217]

تقول Ellen Guffey: إن تفسير وفهم أي معلومة أو رسالة مرتبط بالاتصال الوجاهي، ويتأثر بحركات العين وتعبيرات الوجه وحركات الجسم والمكان والوقت والمسافة بين المتحدثين والشكل

[217] Begley, Kathleen, face to face communication, p 4

الخارجي للمتحدث وللمستمع، كما يقول Peter Bender: إن الاتصال الوجاهي هو شراكة تامة بين المتحدث والمستمع.[218]

أ. استقبال الخطيب للحاضرين

كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا بدأ بخطبته يستقبل بوجهه المتعلمين، وذلك أبلغ في التعليم، وهو أفضل وسيلة للاتصال بين شخصين، وهذه بعض الأدلة على ذلك:

روى الشيخان وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم، فيعظهم ويوصهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه، أو يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف.

وروى ابن ماجة عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دنا من منبره يوم الجمعة، سلَّم على من عنده من الجلوس، فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه ثم سلَّم.

وروى البيهقي عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا خطب يستقبلنا بوجهه ونستقبله بوجوهنا.

عن الشعبي قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، استقبل الناس بوجهه فقال: السلام عليكم، ويحمد الله، ويثني عليه، ويقرأ سورة، ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب، ثم ينزل، وكان أبو بكر وعمر يفعلانه.

ب. استقبال الحاضرين للخطيب

يقول مصطفى أبو سعد في استراتيجيات التربية الايجابية: اتجه بجسمك كله إلى من يتحدث إليك، فإن لم يكن فبوجهك على الأقل، لأن المتحدث يتضايق ويحس بأنك تهمله، إن لم تنظر إليه و تتجه له.[219]

وقال ابن حجر العسقلاني: إذا شرع الإمام في الخطبة، أقبل عليه الحاضر بوجهه، ولا يستدبره أو يستقبل غير جهته، لفعل الصحابة ـ رضي الله عنه ـ لأن استقباله تهيؤ لسماع كلامه وسلوك الأدب معه في استماع كلامه، فإذا استقبله بوجهه، وأقبل عليه بجسده وبقلبه وحضور ذهنه، كان أدعى لفهم موعظته.[220]

كان الصحابة يستقبلون بوجوههم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثناء إلقائه للخطبة، وذلك أبلغ في التعلم، لأن المتعلم الذي يشاهد معلمه ويتابعه بعينيه أقدر على فهمه وسماعه واستيعاب رسائله غير اللفظية.

قال عبد الله البسام: من فوائد استقبال الخطيب ونحوه وإعطائه الوجه من المستمع، أن ينشط الخطيب الواعظ ونحوهما على الكلام، إذا وجد له مصغيا ومستفيدا، كما أنه يتطابق النظر والتفكير، فتساعد العين والقلب على استيعاب الفائدة، فيحصل كمال المقصود.[221]

---

[218] Ibid., p 6

[219] أبو سعد، مصطفى، إستراتيجيات التربية الايجابية، ص 40

[220] العسقلاني، أحمد ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ص 2 / 402

[221] العتري، سعود، الإنباء بأخطاء الخطباء، ص 78

وهذه بعض الأدلة من السنة الصحيحة على استقبال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم يتابعون خطبته:

روى البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله..

وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الله إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا.

وروى ابن ماجة عن عدي بن ثابت عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قام على المنبر استقبله أصحابه بوجوههم.

وروى البخاري في التاريخ الكبير والبيهقي عن يحي المدني عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قام على المنبر أقبلنا بوجوهنا إليه.

وروى البيهقي عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا خطب يستقبلنا بوجهه ونستقبله بوجوهنا.

V. خاتمة

لا يقتصر نقل الأفكار والمعاني على استخدام الكلمات المقروءة أو المنطوقة، بل هناك وسائل أخرى يتم من خلالها الاتصال وتكاد تكون أكثر من تلك التي نتبادلها من خلال الاتصال اللفظي، وفي الحقيقة فإننا دائما ما ننقل رسائل غير لفظية وتكون في الغالب من طابع المشاعر والأحاسيس والعواطف، بينما يكون الاتصال اللفظي في الغالب للتعبير عن الأفكار وتبادل المعارف.

وتعد مهارة التواصل بالأسلوبين اللفظي وغير اللفظي ضرورية وأساسية لكل من المعلم والطالب لجعل التدريس ذي معنى فهي أداة يتم بواسطتها نقل المعارف والخبرات إلى الطلاب.

ومن خلال دراسة استقرائية لخطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينت أنه استخدم اللغة غير اللفظية بشكل مكثف وبارع، إذ أنه أحسن في استعمالها، والدليل على ذلك آثاره التربوية في المتعلمين.

وكان مما استخدمه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لغة الجسد عموما، سواء كانت إشارات بسيطة بأصابع اليد أو اليد نفسها، وأنواع من التربية العملية بالبيان العملي والتوضيحي في تعليم بعض العبادات والشعائر والأحكام الشرعية، وكذلك تعبيرات الوجه المختلفة، التي تحمل دلالات واضحة عما يريد تبليغه، إضافة إلى حسن تفاعله مع موضوع الخطبة التي يلقيها، ويظهر ذلك في تناسق حركته وتعبيرات وجهه ونبرة صوته، كما وظف السكوت والصمت كأحد أساليب اللغة غير اللفظية لتبليغ رسائله.

وأشارت الدراسة أن الإسلام شرع جملة من الإجراءات العملية التي تساعد على إدراك اللغة غير اللفظية في الخطابة، كون اللغة غير اللفظية تعتمد على حاسة البصر، مما لزم جعل المعلم والمتعلم في أوضاع تمكنهم من التواصل غير اللفظي، ومنها الخطابة على شيء مرتفع، الخطابة قياما، الاتصال الوجاهي بين المعلم والمتعلمين باتجاهيه (استقبال الخطيب للحاضرين واستقبال الحاضرين للخطيب).

VI. المراجع

1. أبو سعد، مصطفى، استراتيجيات التربية الإيجابية، مركز الراشد، ط 1، الكويت، 2003.
2. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق عزت عبيد الدعاس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.
3. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد، المسند، المكتب الإسلامي، بيروت، 1969.
4. ابن عثيمين، صالح، الشرح الممتع، ط1، الرياض، 2001.
5. ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت، 1999.
7. أفزاز، أحمد، خطبة الجمعة: واقع وآفاق، وقائع الملتقى العالمي الأول لخطباء الجمعة في المغرب، فاس، 23 – 27 مارس 1987، ص ص 165 – 194.
8. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار الفكر، بيروت، 1981.
9. بردن، بول، الإدارة الصفية، ترجمة محمد طالب السيد سليمان، دار الكتاب الجامعي، ط 2، غزة، 2005.
10. الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
11. حمادة، فاروق، أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1417 هـ.
12. حمزاوي، يزيد، مقاربة اتصالية لبعض جوانب العملية التربوية، مجلة دراسات نفسية وتربوية، جامعة البليدة، العدد 01، نوفمبر 2006، ص ص 159 – 172.
13. الطنوبي، محمد عمر، نظريات الاتصال، مكتبة الإشعاع الفنية، ط 1، الإسكندرية، 2001.
14. العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
15. علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، دار الشهاب، الجزائر، 1987.
16. العيسوي، عبد الرحمان، الكفاءة الإدارية، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1998.
17. العنزي، سعود، الإنباء بأخطاء الخطباء، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، 2001.
18. الفرجاني، عبد العظيم، تقنيات الاتصال التعليمي من القرآن والسنة، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
19. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط6، بيروت، 1998.
20. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري، الصحيح، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب، ط2، القاهرة، 1972.

21. مورجان، نيك، قواعد التأثير في المستمعين، ترجمة مها حسن بحبوح، شركة الحوار الثقافي، بيروت، 2003.
22. النحلاوي، عبد الرحمان، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، ط3، دمشق، 1987.
23. النسائي، أحمد بن شعيب، السنن، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط 1، حلب، 1988.
24. Begley, Kathleen, face to face communication, Thomson edition, Boston, MA, 2004.
25. Durand, J, Les formes de la communication, Ed Dunod, Paris, 1993.